من المصطلح إلى التنمية الإنسانية الكاملة

د.بلقاسم مالكية
جامعة ورقلة (الجزائر)

01/ كان صباحا شتائيا صحراويا رمادي اللون ,تحللت فيه الألوان لتشكل وهجا شاحبا يبعث في النفس حالا غير محددة من الشعور , حالا تقف وسطا بين كل المشاعر فأنت لاتعرف هل أنت حزين ؟أم فرح ؟ , منفتح ؟ أم منغلق ؟ مندمج ؟ أم مبعد ؟ لاترغب في شيء بعينه . وفي الحال نفسه تريد كل الأشياء .تسرح بطرقك إلى أقصى حدود الأفق , وفي الآن نفسه تنظر بعمق إلى البئر التي حفرتها الأيام في داخلك , ترى بقايا الليل ترتسم على الأجفان ,تحاول أن تمتزج مع سواد الأشفار كي تختفي , وترى النهار يتحرك في الوجوه بكسل مزعج يحاول أن يطيل لحظة الحضور .كل شيء من حولك يخرج من حدود الوضوح ليدخل متاهة الغموض، يحاول أن لا يتميز، أن لا يتفرد، أن يذوب في الحشد كي يخفى إلى الأبد أحزانه .

من زجاج النافدة في الطابق العلوي تحاول أن تسرح عينك في الأفق ترى قمم النخيل المغيرة تهتز على وقع ريح ضعيفة، اصفرار في الأفق وفي المباني يزيد لكائبة القلب كائبة الحس , ويزرع من جديد الرغبة في إغماض العينين والنوم إلى الأبد , يهاجمك جيش الأحزان من كل جهة , يحتل قلبك المتعب ليزيده تعبا , ليخنق كل بارقة أمل , ومن أين يأتي الأمل , وهذه المشاهد التي تعرضها قنوات الأخبار في كل لحظة هذه المشاهد التي تسقط كالمطر الحمضي الذي يقتل كل اخضرار ظاهر على وجه الأرض , وكل اخضرار يحلم أن يصير يوما إلى سطح الأرض , هذه المشاهد التي تهزك بمحتواها الدامي , ويشكل عرضها الذي حول مأساة البشر إلى عرض يوم تموت فيه أحاسيسنا وتتبلد حواسنا ونستهلكها كما نستهلك وجبة سريعة لانعرف محتواها ولا تركيبها فكل ما يهم هو سد الجوع الذي يسكننا ثم نمضي في طريقنا ولاندري إلى أين نسير ويوم نفيق نجد أنفسنا على مقاعد الاحتضار لنغادر هذا العالم ونتحول إلى رقم جديد في سلسلة الراحلين كما كنا يوما رقما في عدد المقبلين على الدنيا .

من أين لهذا القلب لأن يفرح وهو يرى هذه الوجوه , وجوه الطلبة الجالسين في قاعة الدرس وقد علتها غشاوة من ألم يعتصر القلب , من جراح أصابت جسد الوطن , جسد الأمة , جسد الإنسانية جمعاء , قتل ودمار وجوع ونفى وتشرد , هذا غذائنا اليومي , غذاء مسموم , يسمن الأورام الخبيثة حتى تبتلعنا في أحشاءها المتعفنة , قنوط يسكن الوجود , كل شيء –يتهاوى من حولك عدم عدم ... وحين تتوقف عن شرح النص النقدي , وتشخص ببصرك إلى أفق غير محدد ينتبه الطلاب لصمتك غير المعهود , وينتظرون ماذا ستخرج من هذا الصمت ؟ ثم تمر لحظات عليك وأنت في صمت تتأمل الأفق , وعلى غير موعد سابق , ولاتخطيط . تطرح هذا السؤال : ماذا يفيد درسنا في النقد القديم ؟.

هل يطعم الجائعين ؟ هل يزرع الأمن في قلوب الخائفين ؟ هل يعطى وطنا لكل المنفيين ؟ هل يضمد جراح المتعبين من الألم ؟ هل ؟ هل ؟ ...... يتدفق سيل الأسئلة جارفا في صحراء الفكر, لاتدري متى يأتي. لكنه حين يأتي لايدر على الأرض شيئا ,إنه يجرف الحجر والشجر والإنسان وكل شيء يقف في طريقه, ثم تردف هذا السيل من

الاستفهامات الجارحة بتأكيدك على أننا إذا لم نستطع الإجابة عن كل هذا , فإن وجودنا يفقد معناه , يصبح مجرد عبث وإضاعة للوقت .

وأن على الطلبة البحث في قسم آخر في الجامعة غير قسم اللغة والأدب العربي , وأن عليك أنت أن تبحث لتحصيل رزقك عن مهنة أخرى غير مهنة التعليم. ويزداد هذا الموقف حرجا حين يرد على ذهنك جزء من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي يستعيذ فيه من علم لاينفع ترن هذه الكلمة الأخيرة في أعماقك . ويرددها لسانك ليشحن الجو توترا ويزيد العقول حيرة ويهز القلوب هزا يجعلها قاب قوسين من تمزيق الصدور والخروج إلى العلف لتشهر صرخة الألم والعذاب في الم لم يعد يستطيع أن يمنح الإنسان الأمان .

2/ هنا تفتش عن نص الحديث الكامل لعله يقدم الدواء الشافي لهذه الأزمة الوجودية المتجذرة فيك وفي كل حي يحاول أن يدرك معنى حياته ويعيش هذا المعنى ((حدثنا يحي بن آدم بكر بن عياش عن عمر بن مرة عن عبد الله بن الحارث بن زهير بن الأقرع عن عبد الله بن عمر وقال: كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم – يقول: اللهم إني أعوذ بك من قلب لايخشع ومن دعاء لايسمع ومن نفس لاتشبع ومن علم لاينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع)) .[1] و الحديث فتح أفقا للبحث والتأمل في وحدة الكائن البشري , هذه الوحدة التي كثيرا ما ينساها الإنسان نفسه وهو يخوض في ربوع هذه الحياة إن العناصر الأربعة التي تعوذ منها الرسول – صلى الله عليه وسلم – تمثل الأبعاد الكبرى في وجود الإنسان:

1–القلب .

2–النفس .

3–العلم .

4– الدعاء .

وكل عنصر من هذه العناصر يحيل إلى جانب أساسي في الإنسان وغلى تعدديته في تشكل سلسلة من العلاقات التي تربط الإنسان بذاته وجنسه وبالكون والله .وإذا كانت الحضارة المعاصرة تركز على النفس والعلم , فإن تركيزها عليها كان تركيزا سلبيا , فبدلا عن النفس التي لاتشبع والتي استفاد الرسول – ص– منها, نجد الحضارة المعاصرة تعمل جاهدة وبكل السبل الممكنة من أجل هذه النفس لاتشبع , وفي ذلك تستغل العلم لتحقيق ذلك , لأن النفع في نظر الحضارة المعاصرة له معنا واحد هو العائد المادي والربح المالي , مما جعل هذه الحضارة تركز جهد الإنسان كله في هذه النقطة التي تضخمه إلى درجة ابتلعت الإنسان , وألغت كل أبعاده الأخرى وبخاصة البعد القلبي والبعد الدعائي وإنها لاتؤمن بهما , لأنهما في نظرها مجرد أوهام اخترعها الخيال الإنساني المريض لأن هذين البعدين حين يهتم بهما فإنهما سيحدان من شره النفس ويقفان دون بلوغها إلى درجات من عدم الشبع تؤدي إلى تدمير الإنسان والكون أليست الأمراض المتعلقة بالسمنة والإفراط في الاستهلاك وتدمير الموارد الطبيعية ... الا واحدة من نتائج ذلك .

يقول شارح الحديث عن العلم غير النافع أنه العلم الذي ((لاأعمل به ولا أعلم الناس ويهذب الأخلاق والأقوال والأفعال أ وعلم لا يحتاج إليه ولم يرد في تعلمه إذن شرعي)) [2] أن النفس التي لا تشبع هي محور الحضارة المعاصرة, بل إن هذه الحضارة عملت جهدها لإبعاد القلب الخاشع ,والدعاء المستجاب , لكونهما أكبر عائق لإطلاق النفس من قمقمها, ولفتح صندوق بندورة الرهيب, كما عملت هذه الحضارة على تسخير العلم ليكون الخادم الوفي لشبقها الذي لاحد له , فوضعت علوم بكاملها لدفع النفس إلى الشره وسخرت علوم قديمة لتكون جزء من هذه الآلة

الرهيبة التي تعمل على ابتلاع الكون وتحويله إلى وليمة كبيرة يدعى إليها الإنسان ليقضي عمره كله، ويصرف جهوده كلها في الأكل والأكل والأكل ... إنها حضارة محورها آمال ومنهجها الاستهلاك إنها العصا السحرية إلى تحول كل ما تلمسه إلى ذهب. يعلق أحد المفكرين المعاصرين على هذا الوضع بقوله: ((في عالمنا اليوم، بكل أسف، ليست المرد ودية بأي ثمن الاصورة مشوهة عن الفاعلية، أما الوجدان فليست له قيمة تجارية: لذا فإنه يهان، ويتجاهل، وينسى، وحتى يزدرى وازدراء الوجدان هذا ليس في مآل الأمر، غير ازدراء الكائن البشري، المحول إلى سلعة تجارية، عندما يموت الوجدان، هناك بالضرورة موت الإنسان، وهذا التغير الأخير قد لقي أذنا مصفية وهو ليس مجرد طارئ من طوارئ التاريخ. فلا غرو وإذن أن تتحلل الاجتماعية SOCIALITE. أن تتفسخ الروابط الاجتماعية والسياسية والدولية. أن يتنامى العنف في المدن الكبرى أن يلجأ الشباب إلى قوقعة المخدرات والنحل الدينية، أن تتواصل المذابح المقترفة على هذه الأرض التي تنعم مع ذلك بعلم بشري لا سابقة له؟ عندما ينطق رجل سياسة بكلمة حب فإنه يعتبر من غير سكان الأرض. إن سادة هذا العالم الذين يمركزون بين أيديهم المتعلمة INFORMATISÉES ثروات الكوكب الأرضي لا يشعرون أنهم مهددون البتة بفضاء داخلي ما للكائن البشري، يدرك بوصفه يوطوبيا ناعمة بريئة من زمان ولى. ومع ذلك فإن اختلال التوازن المتعاظم بين الفاعلية والوجدان هو الذي يعرض جنسنا للتهلكة))[3].

إن هذا ما يمكننا أن نطلق عليه " الحياة الضنك". إن لهذه الوضعية العالمية جذورها النابعة من الرؤية التي يحملها الإنسان المعاصر لنفسه والكون والعلم والفن ... وهي التي يجب البحث فيها لفك أسرار الظاهرة، و السعي الجاد للبحث عن الحل الجذري لها.

3/ تفتتح الأستاذة ابتسام القرام المحامية لدى المجلس وهي من أصول تونسية وتعمل في الجزائر التي تعدها بلدها الثاني الذي هو ضمن انتماء مغاربي واسع مقدمة معجمها بقولها : ((كان بودي نظرا لإيماني العميق بحقوق الكائن البشري على الأرض تسمية مصنفي "حقوق الإنسان هل لها من وجود ؟" نظر للدروس المستمر لها وعلى الأخص في العالم الثالث لو لم تكن هناك غابة أخرى نميزه ألا وهي تعريف المصطلحات القانونية الأكثر شيوعا في أوساطنا الطلابية والمهنية)) .[(4)]

إن هذا الربط بين حقوق الإنسان وتأليف معجم في المصطلحات القانونية , ليس موقفا شخصيا للمؤلفة , بل أيدها فيه كل من الأستاذ ميلود إبراهيمي – الرئيس الشرفي للرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان – والأستاذ بن عبد الله – المحامي لدى المجلس الأعلى ونقيب المحامين السابق لمكتب الجزائر العاصمة – وقد قدما كلاهما للمعجم بكلمتين وجيزتين وثريتين في الآن نفسه .فما الرابط بين حقوق الإنسان والمصطلح القانوني ؟ وماهي المعايير الظاهرة والمستترة التي تنظم هذه الحالات تنظيما موحدا ؟ قد نجد هذه المعايير في نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن الأمم المتحدة في 10ديسمبر 1948 م , حيث تنص المادة الأولى منه ((يولد جميع الناس أحرار متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء والوجود)) [(5)] إذا فالأصل في الوجود الإنساني هو المساواة . أم التفاوت والتفرقة والطبقية والعنصرية وغيرها من السلوكيات الأخرى التي تعمل على إلغاء حقيقة المساواة هي أعمال وأفكار دخيلة وطارئة على الإنسان , تنبع من الجهل هذا الجهل الذي يحوي حقيقة الإنسان وهل هذه الحقيقة الا النتيجة المبشرة لعملية التسمية ؟ هذه التسمية التي تعمل على وسم الكائنات الحية و الميتة , المادية والرمزية , بسمتها التي تحدد حدودها ورتبها , ومكانتها في النظام الكوني , ويتولد عن هذا كله

الموقف منها ونوع المعاملة التي يسلكها تجاه هذه الكائنات , فالتسمية هي التي تفرق بين الناس فتجعل هذا رجلا وهي امرأة غني وهذا فقير .... ماذا لولم توجد الأسماء , هل كنا سنعيش بالفروق ؟ .

من هنا يأتي البحث في المصطلح , إنه البحث عن المعنى المفخخ لنتعلم حين نتكلم ماذا نريد أن نقوله ؟ ومعنى القول الذي يصدر عن الآخرين ؟ لأن هذه المعرفة هي التي تحدد فلسفاتنا , وسواقفنا ومن ثمة سلوكنا من هنا مشروع معجم المصطلحات القانونية للمساعدة على معرفة الكلمات والعبارات القانونية التي يستعملها رجال القانون .

فالمعجم من هنا أداة عمل لكل العاملين في مجال القانون , كما أنه المساعد على إدراك المفاهيم القانونية التي هي مفتاح العلوم القانونية , التي هي الأداة المثالية للدفاع عن حقوق الإنسان هذه الحقوق التي تمنع عن الإنسان حين يمنع من حق التعليم هذا الحق الذي تضمنه المادة 26 من إعلان حقوق الإنسان العالمي , الذي تحدد فقرته الأولى ((لكل شخص الحق في التعليم)) , والذي تفصله الفقرة الثانية من المادة نفسها , التي تذهب إلى انه((يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملا والى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام)) .

إن معرفة المصطلحات هو الشرط الأول لتكوين بعمل منبها للروح والعقل من خلال تقديمه للتعريفات الواضحة , التي تحول المصطلحات إلى مصدر للحياة , وتحول البحث في المعجم من مجرد سلوك ضروري تفرضه العملية التعليمية والمهنية إلى استجابة حقيقة لغريزة حب الاستكشاف المتجذرة في الوجود الإنساني , وقد عملت مؤلفة المعجم على توفير عوامل النجاح لمعجمها من خلال الإحالة على المواد القانونية المرتبطة بالمصطلح المعرف , وكذا تقديم الأمثلة المبسطة التي تزيل أي غموض قد يرتبط بالمصطلح, فعن الفهم الصحيح ينتج السلوك الصحيح ,.إن هذا النموذج الذي يقدمه معجم المصطلحات القانونية يقوم شاهد على الانتظام والحوار والتكامل بين المعارف الإنسانية ويمكننا تجسيد ذلك عن طريق الرسمالآتي :

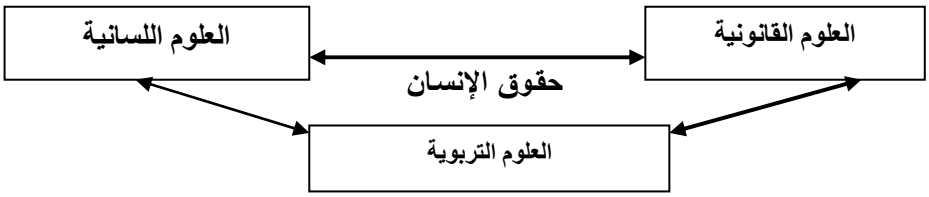

3/ إذا كان النموذج السابق قد ربط بين المصطلح وحقوق الإنسان , فإننا سنتطرق في هذا الجزء من البحث إلى نموذج آخر جاء في كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي , ونص النموذج هو : ((وقال قائل لخلف : إذا سمعت أن بالشعر استحسنه فما أبالي ما قلت أنت وأصحابك قال : إذا أخذت درهما فأستحسنته فقال لك الصراف : إنه ردئ, فهل ينفع استحسانك إياه)) [06] إن هذه الحادثة التاريخية القديمة تفتح أمامنا بابا واسعا من الدراسات الإنسانية تبدأ عند النقد الأدبي ولا تنتهي عند العلوم الاقتصادية وما يرافقها من علوم الضبط والتنظيم مما يجعلنا مرة أخرى نتساءل عن شرعية وجود الحدود الصارمة والمتعلقة بين مختلف العلوم .

إن هذا النص في ظاهرة يطرح مسألة النقد الأدبي من حيث شرعية عمل الناقد ووجوده داخل النسق الاجتماعي كفرد متميز في وظيفته وعمله , كما يطرح النص من جهة أخرى طبيعة العمل الذي يقوم به الناقد .

فإذا كان المجتمع الإنساني ما يزال إلى حد الآن يطرح أسئلة حول شرعية وجود الناقد , إذ هناك من يذهب إلى أن النقد بعامة في المجال الفني مشاع بين الناس , فكل واحد الحق في النقد , وفي تنصيب نفسه مرجعا يحكم على الأعمال الفنية انطلقا من ذوقه الخاص , فيرفع من الأعمال الفنية ما يشاء ويخفض منها كذلك ما يشاء، دون أن يلقي بالا إلى ما يصدره غيره حول هذه الأعمال، دون أن يحتكم إلى معايير عامة متفق عليها، أو الرجوع إلى أهل العلم في هذا المجال، إذ أن هذه الفئة من المجتمع لا تؤمن بأن للنقد أهلا متخصصين فيه، يقمون على دراسة الأعمال الفنية وإصدار أحكام حولها، هذه الأحكام التي تخضع لها باقي فئات المجتمع من غير أهل هذا المجال المعرفي.

وعلى العكس من ذلك نجد فئة اجتماعية تؤمن بوجود هذا التخصص وأهميته وأنه لا يقل من حيث الأهمية عن باقي الاختصاصات التي تحكم مجالات الحياة المختلفة. يقول محمد بن سلام الجمحي: ((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان)).[07]

إن هذا التحليل الموجز يقدم لنا سطح الظاهرة دون الغوص في أعماقها ، ذلك أن المسألة لو توقفت عند هذا الحد – وهو حد مهم لا يمكن الاستهانة به – فهي لم تقدم لنا الأبعاد الحقيقية للنقد، هذه الأبعاد التي تضرب في أعماق الوجود الإنساني والتي ترتبط بسلسلة من العلاقات المعرفية الشاملة. ذلك أننا حين نحلل وقائع النص وبخاصة الرد الذي قدمه خلف نجده قد بني رده على استعارة السوق (الصراف)، وهذه الاستعارة حين توضع داخل السياق التاريخي والثقافي الذي تواجد فيه خلف تأخذ أبعادا عديدة.

إن الثقافة العربية الإسلامية ثقافة تجارية، تتمركز حول السوق، وحول التبادلات التجارية المحلية والدولية، وذلك مند العصر الجاهلي وما رحلتا الشتاء والصيف، وسوق عكاظ ثم سوق المريد، واحتكار التجارة الدولية في العصر العباسي ,الإ نماذج لهذا السياق العام، وقد انعكس هذا كله على البناء الاجتماعي والسياسي والثقافي واللغوي، حيث أصبحت التجارة مرجعية مادية ورمزية في الآن نفسه، يستمد منها الإنسان عوامل بقائه المادي ، وعوامل نموه الرمزي والمعنوي، لذلك حين أراد خلف أن يقيم الحجة على شرعية وجود ناقد، والحاجة إليه، أحال على السوق، وعلى مركز الارتكاز فيها وهو الصراف، الذي يراقب ويضبط المادة الأولى في عملية التجارة التي هي المال الذي يعد العصب المركزي لكل الحياة الاقتصادية، لذلك كان لمراقبته وضبطه وحمايته من كل العمليات التي تدخل عليه الغش والتدليس والأهمية الأولى التي تبذل في سبيلها الأموال والجهود البشرية الكبرى، والتي لا يمكن أن تتساهل فيها أي دولة تريد ضمان الاستقرار والاستمرار. إن إحالة خلف على هذا المجال الإنساني ينبهنا إلى أن الإنسان ليس مجرد معاملات مادية ترتكز على المال، بل هو إلى جانب ذلك يقوم وجوده على معاملات رمزية كثيرة تدخل فيها النصوص الأدبية، وأن هذه الثروة الرمزية للإنسان تحتاج بدورها إلى الصراف الذي يراقب تدفقها ويمنع عنها التزوير أو التحريف الذي من شأنه أن يلحق الأذى بالإنسان وربما كان لهذا الأذى من الخطورة والتأثير ما يفوق أخطار الإنحرفات المالية والتجارية، لأن آثار هذا الانحراف الأخير يمكن إدراكها بسهولة، وتداركها كذلك بسهولة، أما آثار الانحرافات الرمزية فهي في الكثير من الأحيان خفية، وإصلاحها قد يتطلب أجيال بكاملها من البشر للخروج من نتائج الانحراف الرمزي.

إن اقتصاديات الإنسان التي تقوم على أساسها حياته المادية والرمزية هي محور هذا النشاط الذي يسعى إلى ضبط ومراقبة هذه الاقتصاديات حتى لا تنحرف عن مقاصدها , وعليه يمكننا تمثيل هذا كله في الرسم الآتي:

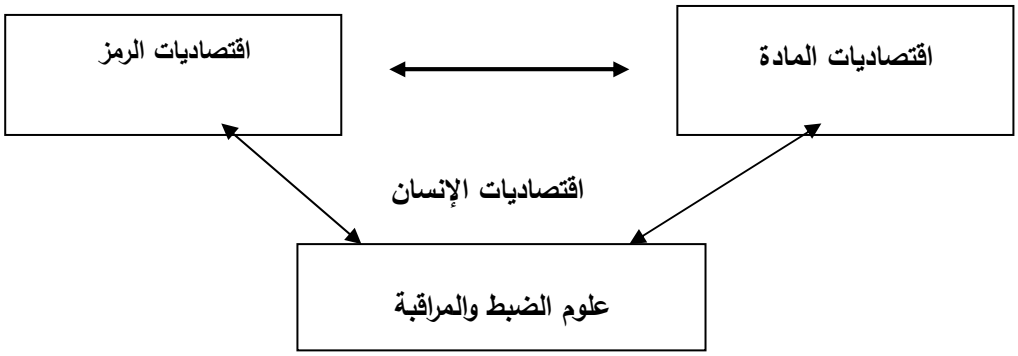

4- إن خاتمة المطاف لهده الدراسة هو الوقوف عند كتاب " نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة " من تأليف العلامة المحقق أحمد بن محي الدين مصطفى الحسيني الجزائري المتوفى 1320هـ حيث بنى المؤلف كتابه حول مقولة علي – كرم الله وجهه –

هي : ((العلم نقطة كثرها الجاهلون)) [08] وقد عرض المؤلف في عجالة لمفهوم العلم لينتهي إلى شرح موجز لهذه العبارة ثم ينتقل إلى باب واسع من كلام المتصوفة عن الإنسان الكامل والحقيقة المحمدية , وهو باب جدير بالنظر والتوسع وإعادة الصياغة وفق ما يطرحه العصر من تطورات وتحديات , لم تكن لتخطر على بال القدماء , إن الكون اتسع والمصاعب التي تواجه الإنسان اتسعت وكل هذا يدفع بنا إلى إعادة التفكير في الانسان الكامل ذلك أن كمال الإنسان لايقتصر على الجانب العرفاني الروحي الذوقي, بل يتعداه ليشمل الأبعاد الأخرى , فالإنسان يكون كاملا في جسده وعقله ولغته وأدبه وفنه وبيئته وفي علمه ومعاملاته وبتعبير أكثر دقة في كل عناصر حياته, وبما أن الإنسان الكامل في النظرة الصوفية يقوم على أساس الحقيقة المحمدية فإن دراسة السيرة النبوية في شموليتها تكون غاية للكشف عن أسرار الكمال الإنساني الشامل . إن العبارة التي صدرت عن الإمام علي– كرم الله وجهه – تتكون من ثلاث عناصر محورية هي:

1/ العلم
2/ الجاهلون
3/ التكثير

وهذا يدفعنا إلى طرح أسئلة في المجال: لماذا التركيز على عنصر العلم ؟ لماذا لانركز على عنصر الجهل ؟ ونتجاوز الصفات القد حية التي تصف الجهل إلى درجة أكثر عمقا وأكثر نفعا ألا وهي تأسيس علوم للجهل تبحث في أسسه ومصادر و تاريخه وآثاره , وسبل التعامل معه , والحد من وجود داخل المجال الإنساني ؟ . ونحن هنا لانأتي بشئ جديد كل الجدة فقد سبق إلى هذه الفكرة الفيلسوف الألماني الكبير كارل بوبر في مقالة , " حول منابع العلم والجهل " وقد انتبه الفيلسوف إلى أن عنوان مقاله قد يكون صادما ((لأن منابع العلم شيء مفهوم , وكذلك منابع الخطأ أيضا , أما منابع الجهل فإنها شئ غير مفهوم أبدا فالجهل شيء سلبي إنه غياب المعرفة .فكيف يمكن لغياب أي شيء أن يصدر عن منابع)).[09]

إن هذه الفقرة القصيرة تعكس في حد ذاتها مظاهر الجهل الإنساني إذ كيف نقول عن الجهل أنه شيء غائب ؟ ونحن نعيش ثماره المرة في كل لحظة من حياتنا , وفي كل نقطة من نقاط عالمنا المعاصر ؟ كيف نقول عنه أنه سلبي ؟ وما السلبية .أليس هذا الحكم ذاتي ونابع عن جهل متجدر في الإنسان ؟ إن كل ما في الكون هو من خلق الله , ولايمكن أن يكون في خلق الله ماهو سلبي ذلك أن جهلنا وحده الذي يخفى علينا معنى الأشياء من حولنا , وقد ينتج عن هذا الجهل كوراث كثيرة كإبادة بعض الكائنات الحية اعتقادا بأن وجودها سلبي , ثم يتبين أن السلبية الحقيقية تكمن في القضاء عليها ،وما تكثير الجاهلين للعلم إلا ضرب من ضروب الجهل وعلى هذا فإن هذه المقولة تحيلنا على سلسلة من العلوم التي يقوم عليها وجود الإنسان الذي ينتمي إلى معرفة الانسان بنفسه لتكون هذه المعرفة مدخلا إلى معرفة ربه التي هي النقطة المركزية والغاية من وجودنا التي ذهل عنها الإنسان ووقع له ما وقع لنرجس الذي شغله النضر إلى وجهه في الماء عن النظر إلى جمال الكون وعظمة الخلق , فذهوله عن الكون جعله يذهل عن نفسه , ليصير في الأخير زهرة بعد أن كان إنسانا , وما أدراك ما الإنسان؟ حين يدرك غاية وجوده .

ويمكننا تمثيل هذه العلاقات وفق الرسم الآتي :

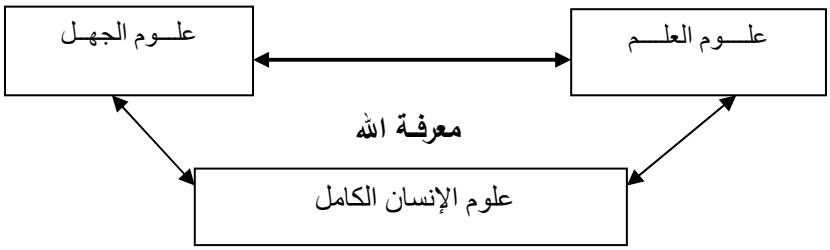

5/ يقول رجاء عارودي في كتابه حوار الحضارات تكلم على حضارة الإسلام : ((كل الفنون تؤدي إلى المسجد والمسجد إلى الصلاة)) [10] وتوسيعا لهذا الحوصلة نقول : كل العلوم تنتهي إلى معرفة الإنسان ومعرفة الإنسان تنتهي إلى معرفة الله.

هوامش :

1/ جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي : دار الكتاب العربي – بيروت لبنان –ط 3–1984.م 4 . أحاديث من أبواب الدعوات .

2/ المرجع السابق نفسه .

3/ العبر مناهجية بيان : بسراب نيكولسكو .ترجمة : ديمتري اقييرنبوس تقديم : أدو نيس .دار مكتبة إيزيس , دمشق , سوريا , ط 1 200.ص 104 .

4/ المصطلحات القانونية في التشريع الجزائري : قاموس بالغتين العربية والفرنسية : ابتسام القرام , قصر الكتاب البليدة , الجزائر , د.ط –د.ت .

5/ المرجع السابق نفسه .

6/ طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي , قرأ و شرحه أبو فهر محمود محمد شاكر , دار المدني , جدة – المملكة العربية السعودية . د.ط د.ت ، السفر الأول .ص07 .

07/ المرجع السابق , ص.05

08/ نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة : العلامة المحقق أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسيني الجزائري ,تحقيق أحمد فريد المز يدي , منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ,ط 1 – 2004م.ص.07

09/ النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم: محي الدين صبحي (مترجما)الدار العربية للكتاب –تونس –ليبيا .1988 ص.17

10/ حوار الحضارات روجه غار ودي: ترجمة الدكتور عادل العوا .تقديم محمد مزالي , منشورات عويدات – بيروت – باريس – سلسلة" زدني علما "رقم 01 ط 1,1978–01 ص 163.